المشكلات الاجتماعية

دراسة نقدية تحليلية من منظور

علم الاجتماع

دكتور

محمد الغريب عبد الكريم

قسم الاجتماع ـ آداب سوهاج

يقول " راب Raeb " و " سيلزنيك Selsniek " عن معنى المشكلات الاجتماعية (١) :

" انها مشكلة فى العلاقات الانسانية التى تهدد المجتمع ذاته تهديدا خطيرا أو تعوق المطامح الرئيسية لكثير من الاجزاء " وهما يذهبان الى أبعد من ذلك حينما يصفا المظهر الأول للمشكلة الاجتماعية بقولهما " توجد المشكلة الاجتماعية حينما لا توجد لدى المجتمع القدرة على تنظيم العلاقات الانسانية بين الناس وتضطرب النظم السائدة وينتهك القانون وينعدم انتقال القيم من جيل الى آخر ويتحطم اطار التوقعات الاجتماعية .

والمثال على ذلك انه لاتوجد فى الوقت الحاضر الا اهتماما محدودا يجتاح الاحداث حيث أصبح هو الطريق الموصل الى الجريمة كما أنه يهدد الأمن الشخصى والملكية .. وبعبارة أخرى ينظر هنا الى المشكلة الاجتماعية بوصفها تمثل انهيار داخل المجتمع ذاته ..".

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى عرفت " باريارا ووتون B. Wooton " فى موءلفها "العلوم الاجتماعية والباثولوجيا الاجتماعية "

(1) E. Rob & C. J. Celzoniek, " Major Social Problems " N. Y. 1959. PP. 7 - 22.

كما اطلقت عليه الباثولوجيا الاجتماعية تعريفا ضيقا على النحـــــو التالى : انها تضم كافة الافعال التى يتم من أجـل منعها انفـــاق الاموال العامة- مثلا- أو التى يعاقب من يرتكبها أو هى كل مايحتـاج الى انفاق عام لها، غير أن هذا التعريف يحدد نطاق الدراسة تحديدا غير ملائم طالما انه يشير فقط الى أفعال لا الى مواقف كما يهتم بتلك الأفعال التى تجذب اهتمام الدولة خلال فترة زمنية معينة (١) .

ومن أهم العوامل التى تصاحب المشكلة الاجتماعية هى ذلك التمييز الجوهرى بين المستويات التى يشترك فيها الناس اجتماعيـا وبين ظروف الحياة الاجتماعية الواقعية وهذا هو ماذهب اليه "هارى" فى موءلفه تحت عنوان (٢) : Social Problems in American.

كذلك نجد ما أكده " فيرتشيلد H. P. Fairtchield حين قال " ان المشكلة الاجتماعية موقف يتطلب معالجة وينجم عـن أحوال المجتمع أو البيئة الاجتماعية ويترتب عليه ضرورة تجميـــع الوسائل المختلفة لمواجهته (٣) .

ولاشك ان الباحث فى موضوع المشكلات الاجتماعية ســـوف يجد صعوبة بالغة فى التوصل الى المفهوم الذى يندرج تحته موضـــوع المشكلات الاجتماعية، وترجع هذه الصعوبة أساسا الى عاملين :

العامل الأول :

وهو يشير الى صعوبة تتعلق بالاصطلاح نفسه ومدى مطابقتـه

---

(١) محمد على محمد وآخرون . دراسات فى التغير الاجتماعى. القاهرة، ط ٣ ، دار المعارف ، ١٩٧٧. ص ص ٢٧٠-٢٧١.

(2) B. Haray, " Social Problems in American. N.Y. 1976. P.P. 126 - 129.

(3) H. P. Fairtchild, " Dictionary of Sociology ". N. Y. 1953, P. 289.

للموضوعات المتدرجة تحته .

العامل الثانى :

يشير الى صعوبة تتعلق بمضمون المصطلح أو بالموضوعات التى يمكن أن يندرج تحت ذلك المصطلح.

فبالنسبة الى العامل الأول نجد أن الباحث فى ذلك الميدان سوف يجد نفسه فى دوامه بين عديد من المصطلحات المختلفة التى يستخدمها علماء الاجتماع ليعبروا بها عن المظاهر المختلفة لما يمكن اعتباره مشكلات اجتماعية ، فهناك من يستخدم اصطلاح (المرض الاجتماعى Social pathology) أو (الانحرافات الاجتماعية Social deviation) أو (التفكك الاجتماعى Social disorganization) أو (الازمات الاجتماعية Social crisis) أو الاختلال الوظيفى للمجتمع أو بمعنى آخر هى (الظاهرة الاجتماعية المرضية) أو (المشكلات الاجتماعية Social problems).

والغريب ان الباحث فى ذلك الموضوع سوف يجد ان كثيرا من تلك المصطلحات تشتمل على موضوعات تتماثل وتتشابه الى درجة كبيرة رغم الانتقادات التى يوجهها أنصار كل اصطلاح الى الاصطلاحات الأخرى، وتكفى نظرة واحدة الى الموضوعات التى يتضمنها فى كتاب يتخذ لنفسه أحد هذه المصطلحات كعنوان له ، حيث نجد أن تلك الموضوعات تختلف كثيرا عن تلك التى يتضمنها أى كتاب آخر بعنوان اصطلاحى آخر. فالموضوعات التى يتناولها على سبيل المثال كل من روبرت ميرتون R. Merton وروبرت نيسبت R. Nisbet فى كتابهما " المشاكل الاجتماعية " (١) وكتاب " مارشال كلينارد " M. Clinord

---

(1) Robert Merton, R. nisber, Comremporavey ", Social problem 2 Fd., N. Y., 1966.

" سوسيولوجية السلوك الانحرافى " وكتاب " برنارد روزنـــــــبرج " B. Rossnberg بعنوان " المجتمعات الكبرى تواجه الازمـــــات " وكذلك " ليمرت Limert " فى كتابه بعنوان "الباثولوجيا الاجتماعية" و" جيمس فورد Ford " فى كتابه بعنوان " الانحراف الاجتماعـــى".

واذا نظرنا الى هذا سنجد ان كل الموضوعات التى تتناولها تلك الكتب تتشابه وتتماثل رغم أن كل كتاب فيها يتخذ لنفسه اصطلاحا يختلف عن ذلك الذى يتخذه الكتاب الآخر.

وقد أشار " برنارد ريزنبرج" فى مقدمة كتابه (١) الى تعدد وتنوع تلك المصطلحات ومدى الصعوبة التى يمكن أن تقابل الباحـــث فى ذلك المجال ، بينما نجد أن " أبوت برمان Abbotte Berman" فى مقدمة كتابه " اتجاه نحو المشاكل الاجتماعية " يشير الى انـــــه يعتبر هذا مرجعا فى المشاكل الاجتماعية أو التفكك الاجتماعـــــى أو الباثولوجيا الاجتماعية أو التغير الاجتماعى وأثره على النظـــــــم الاجتماعية .

ولتلافى تلك الصعوبة لهذا الاصطلاح فاننا نعتبر أن اصطلاح المشكلات الاجتماعية يشمل موضوعات متعددة ذات اصل اجتماعى يمكن أن نجعلها فى قسمين رئيسيين :

أولا : المشاكل المتعلقة بالسلوك الانحرافى بمظاهـــــــره المختلفة كالجريمة والانحراف وتعاطى وادمان المخدرات، ادمـــــان الخمور، والانحرافات الجنسية، الدعارة، الانتحار، الخلل العقـــلى.. الخ .

---

(1) B. Rosenberg. " Society in crisis ", 2, ED. N.Y. 1975.

ثانيا : المشاكل المتعلقة بالتفكك الاجتماعى مثل المشاكل السكانية، التفرقة العنصرية، تفكك الأسرة، مشاكل التصنيع والعمل، الفقر، البطالة، سوء تنظيم المجتمع المحلى، المشاكل التى تنتج عن الحروب...الخ.

هذا بالنسبة للصعوبة الأولى، أما بالنسبة للصعوبة الثانية والمتعلقة بمضمون هذا المصطلح أو الموضوعات التى ينبغى أن تندرج تحته - تلك التى تخرج من نطاقه فان تلك الصعوبة ترجع الى عامل رئيسى يكمن فى كيفية تشخيص الظاهرة التى يمكن أن نعتبرها مشكلة اجتماعية، وكيفية الحكم على سلوك ما بأنه مشكلة تستحق الاهتمام والدراسة وتشكل خطورة على المجتمع وأفراده، فالملاحظ انه حتى الآن ورغم الدعوى الى اعتبار المجتمع ظاهرة طبيعية تمثل الظواهر الطبيعية الأخرى والدعوة بالتالى الى دراسته دراسة علمية دقيقة مثل التى تتناول بها الظواهر الطبيعية المختلفة، نقول رغم هذا فانه لم يصل علماء الاجتماع بعد الى نظرية موحدة وتشخيص متعارف عليه لظاهرة المجتمع بحيث تحدد تلك النظرية أو ذلك التشخيص جوهر هذه الظاهرة ووظائفها، وبالتالى يمكن تحديد مظاهر الخلل أو السوء فى أداء الظاهرة لوظائفها مثلما هو الحال فى النظرية الطبية، مثلا التى حددت تحديدا واضحا ومتفقا عليه مظاهر الخلل ومظاهر السواء أو الصحة والمرض بالنسبة للكائن البشرى، بحيث يسهل حينئذ تحديد المظاهر المختلفة التى يمكن أن تندرج تحت مفهوم المرض أو الخلل فى وظيفة هذا الكائن.

ونتيجة لهذا اختلفت المفهومات حول مايمكن اعتباره مشكله أو مرضا اجتماعيا من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر بل وداخل المجتمع الواحد من جماعة لأخرى ومن فئة لأخرى بل من فرد لآخر فى بعض الاحيان كما سيتضح لنا من استعراضنا للتعريفات المختلفة للمشكلات الاجتماعية.

هذا- ولحل تلك الصعوبة المتعلقة بتعريف المشكلة الاجتماعية، فاننا نرى أن الحل الأمثل هو ضرورة الوصول الى اتفاق عام لنظرية موحدة عن المجتمع تحدد وظيفته الأساسية حتى يمكن تحديد مظاهر الخلل أو السواء بالنسبة لتلك الوظيفة وحينئذ- سوف يكون فى الامكان الاشارة الى بعض الظواهر المعينة واعتبارها مشكلات أو أمراضا اجتماعية متعارف عليها.

وقد يظن القارىء اننا بهذا المعنى نقترب من مفهوم الباثولوجى الاجتماعى القديم الذى يستعير مفهومه من ميدان الطب ويحاول تحديد المرض والسواء اجتماعيا كما هو الحال بالنسبة للطب ولكن تحليلنا لهذا الاتجاه القديم فى الفقرة التالية من البحث سوف يقضى على هذا الظن.

الاتجاه الباثولوجى القديم فى تفسير المشكلات الاجتماعية :

أتجه بعض علماء الاجتماع والذى يسميهم "ليمرت" بعلماء الاجتماع القدامى الباثولوجيين Old social pathologists (١) اتجاها نحو تفسير مشكلات المجتمع وانحرافاته تفسيرا مستمدا من الطب والأمراض الفيزيقية بحيث يقسمون أفراد المجتمع الى أصحاء ومرضى اجتماعيين Normal and Pathological وبالتالى يقسمون المجتمعات الى مجتمعات صحية وأخرى مرضية. وقد يبدو لمن يتتبع مثل هذا الاتجاه انه أمام محاولة جادة للتعرف ولتحديد مظاهر السواء والمرض بالنسبة للمجتمع كما اقترحنا فيما سبق، الا أن ذلك الاتجاه يبتعد كل البعد عن مفهومنا هذا حيث لا يستند على نظرية موحدة تحدد وظائف المجتمع وبالتالى تحدد مدى الخلل الذى يصيب تلك

---

(1) Lemart, I. " Social Problems " N. Y. 1951, P.21-23.

الوظائف، فالامر لا يعدو الا أن يكون مجرد حصر لانواع معينة من سلوك الافراد أو الجماعات أو الظواهر الاجتماعية المختلفة بصفتها أو بأنها تشكل مشكلات اجتماعية أو أمراض اجتماعية طبقا لوجهات نظرهم الخاصة .

بل أن " ليمرت " وغيره من علماء الاجتماع الغربيين الذين هاجموا هذا الاتجاه لم يقصدوا من هجومهم هذا مانشير اليه نحن بل يتلخص نقدهم لهذا الاتجاه فى أنه أغفل آراء واحكام افراد المجتمع على الظاهرة بأنها تشكل مشكلة أم لا . فبالنسبة لهوءلاء كما سنرى، يرجع العامل الأول والأخير فى تحديد ظاهرة ما بأنها مشكلة اجتماعية الى آراء غالبية أفراد المجتمع أو طبقا لقيم ومعايير المجتمع السائده وبالتالى كما يقول " ليمرت " فى نفس المرجع " أن السلوك الذى يقابل بالرفض والاحتجاج فى زمن معين وفى مجتمع معين قد يكون نفس هذا السلوك مقبولا اجتماعيا من زمن آخر وفى مجتمع آخر وهو الأساس الذى لم يأخذ به أصحاب الاتجاه الباثولوجى القديم " (١) .

أما " هوارد بيكر (٢) Haward Becher فله وجهة نظر أخرى فى معارضته لهذا الاتجاه وهى وجهة نظر لها أهمية خاصة بالنسبة لنا ، حيث نجده يعارض التعريف القديم لدراسة المشكلة الاجتماعية بالمفهوم الباثولوجى، لأن هذه التسمية كما يقول ترجع الى ميدان الطب، ولكن معرفتنا الفسيولوجية لجسم الانسان والتى تم التوصل اليها حتى الآن يمكن أن تعطينا التفسير الموضوعى للوظيفة الطبيعية لأعضاء الجسم وبالتالى يمكن تحديد الاختلال فى تأدية هذه كتجلط الدم أو كسر العظام أو اختلال عملية الهضم ، أما بالنسبة

---

(1) Ibid., P.P. 66 - 68.

(2) H. Becker. " Social Problems in over time ", Amodern Approach. N. Y. 1966, P. P. 1 - 10.

للمجتمع الانسانى فيقول انه لن يكون فى امكاننا أن نصف أو نحـــدد الحالة الطبيعية Normal state للمجتمع الانسانى وذلك لاننـــا لـم نجمع حتى الان المعلومات والمعرفة الكافية التى تجعلنا نصل الـــى مثل هذا التحديد أو الوصف. ولو توقف " بيكر " عند هذا الحـــــد لاتفق معنا الى حد مافى ضرورة التوصل الى تحديد تلك الوظائـــف الأساسية للمجتمع التى نستطيع بموجبها تحديد الاختلاف فى تأديـــة وظيفته كما هو الحال بالنسبة لاعضاء الجسم البشرى، الا أن " هـوارد بيكر " يقطع هذا الامل فى أن يتفق معنا حيث يستطرد قائلا " بـــل حتى لو استطعنا ان نصل الى هذه المعرفة فانها لن تمكننا أيضا من هذا التحديد أو ذلك الوصف، لأن مفهوم المجتمع السليم Healthy Societyيختلف لدى الافراد والمجتمعات حسب اختلاف قيمهـــم واهتماماتهم، بل أن هذه القيم والاهتمامات تختلف اختلافا كبيـــرا بين مختلف الافراد طبقا لمراكزهم فى المجتمع الواحد، فاهتمامـات الشخص الغنى غير الفقير وقيم الشخص الذى نشأ فى بيئة دينية غـير تلك التى يعتنقها آخر من بيئة أخرى، ولذلك لا يمكن لأى بحـــث أو مجموعة من الابحاث مهما بلغت من الدقة أن تحل هذه الاختلافـــات بين الافراد لأن الحكم النهائى لما توصل اليه أى بحث من حقائق فى هذا المجال يتوقف على مدى اعتبار الافراد لهذه الحقائق على انهـا مشكلة أم لا، وبالتالى فان تفسير الباحث لما توصل اليه من حقائـق ومدى ابرازه لها على انها مشكلة أم لا يقوم أساسا علىتوقعه ومعرفتـه لطبيعة حكم الناس على تلك الحقائق .

وهكذا يعود بنا بيكر مرة أخرى الى أن قيم النـــــاس ومعاييرهم هى التى تحدد ماهو سوى وماهو منحرف ويقضى تماما علـى امكان التوصل الى اتفاق عام يحدد وظيفة المجتمع وأوجه الخلل فـــى تلك الوظيفة . وهذا مايدعونا الى تحديد مفهوم المشكلات الاجتماعيـة

فى ضوء معايير وقيم المجتمع.

مفهوم المشكلات الاجتماعية فى ضوء معايير وقيم المجتمع :

تتجه غالبية التعريفات الحديثة للمشكلات الاجتماعية وجهة تربط بين تلك المشكلات وبين معايير المجتمع التى تحكم على نوع معين من أنواع السلوك بانه مشكلة أم لا، ورغم تعدد تلك التعريفات الا أنها تكاد تقترب من بعضها وتتشابه بدرجة كبيرة.

هذا - ويتفق كل من جورج لندبرج Geroge Lundberg (١) ومارشال كلنارد (٢) على أن المجتمع يضع حدودا لسلوك الافراد والجماعات بحيث لايسمح لأى فرد أو جماعة أن تتخطى تلك الحدود وتخرج عليها وبالتالى فان المجتمع يمكن أن يتسامح تجاه بعض أنواع ودرجات السلوك الغير مقبولة والتى لا تتخطى تلك الحدود التى وضعها المجتمع كحد فاصل لتسامحه، ويرتبط مفهوم المشكلة الاجتماعية عند لندبرج ارتباطا وثيقا بمفهوم السلوك الانحرافى Deviant Behavior فالمشكلة الاجتماعية عند لندبرج هى سلوك منحرف عن القواعد والمعايير التى وضعها المجتمع فى كل نظام اجتماعى من النظم الاجتماعية السائدة فى ذلك المجتمع.

وفى ذلك يرى لندبرج أن السلوك الذى يشكل مشكلة اجتماعية أو انحرافا اجتماعيا لايصبح كذلك الا فى ضوء علاقته بالمعايير والقواعد التى وضعها المجتمع من حيث مدى التزام هذا النوع من السلوك بتلك المعايير أو مدى خروجه عليها، فالتزام الفرد فى مجتمع ما لمعايير

---

(1) G. Land Berg, Others, " Sociology ", N. Y. 1954. P. 122.

(2) M. Clinard, Sociology of deviant behavior, N. Y. 1963. P. P. 91 - 96.

هذا المجتمع يقابل بمكافأة المجتمع له فيحصل على مركز اجتماعى مرموق مثلا أو ثروة أو شهره ...الخ.

أما عدم التزامه بتلك المعايير، فالمجتمع حينئذ يتسامح فى جزء أو فى درجة من هذا السلوك الا أن هذا التسامح من المجتمع له نقطة أو حدود بحيث أن من يتخطى هذه النقطة أو تلك الحدود فانه لن يحظى بتسامح المجتمع وبالتالى يقع على هذا المخطىء نقمة وغضب هذا المجتمع، بل وقد يتعرض الى عقاب رسمى أيضا توقعه عليه السلطة الرسمية فى المجتمع. ويتوقف مدى تسامح المجتمع أو تقبله لسلوك ما على نوع المعايير السائدة فى المجتمع والزمن الذى يحدث فيه السلوك وبالتالى فان المشاكل الاجتماعية والانحرافات السلوكية تختلف من مجتمع لآخر ومن فئة لأخرى، فقد يتقبل مجتمع ما أو ثقافة ما شرب الخمر بينما يعاقب مجتمع آخر مرتكب هذا السلوك عقابا صارما، وكذلك قد يرفض المجتمع سلوكا معينا فى زمن معين ثم يتقبل نفس المجتمع نفس هذا السلوك فى زمن مختلف كتقبل المجتمع الانجليزى لظاهرة الشذوذ الجنسى أخيرا، بل ويوءكد "لندبرج" أن هذا الاختلاف قد يحدث من موقف لآخر فعندما يقتل شخص ما شخصا آخر فقد يكون هذا السلوك حسب الموقف جريمة أو حالة جنون موءقت أو قتل خطأ أو حادث أو بطولة، وعلى ذلك فقد يشنق القاتل أو يسجن أو يعالج أو يمنح وساما.

ولذلك يرى " لندبرج " انه فى تعريفنا للمشاكل الاجتماعية وللسلوك الانحرافى علينا أن نأخذ فى الاعتبار المدى الذى يتسامح فيه المجتمع بالنسبة لانواع السلوك التى لا تلتزم بمعاييره وقواعده بطريقة لا يقبلها المجتمع، وكذلك الموقف الذى حدث فيه مثل هذا السلوك.

هذا- ويعرف " لندبرج " المشكلة الاجتماعية بأنها أى سلوك

منحرف يتخذ له اتجاها غير موافق عليه من المجتمع الى الدرجة التى يتخطى بها مثل هذا السلوك حدود تسامح المجتمع (١) .

" A Social problem is any devision behavior in a disapproved duection of such a degree that exceeds the tolerance limits of the Community "(2)

وترجع أهمية هذا التعريف فى رأى " لندبرج " الى امكان تطبيقه على كل أنواع السلوك التى وضع لها المجتمع معاييرا ،أو قواعد.

كما يرى " لندبرج " أن معظم الأنماط العامة الرسمية لكل أنواع السلوك فى مجتمع ما يمكن أن يطلق عليها اسم النظم الاجتماعية Social institutions كالنظام الاقتصادى والسياسى والصحى والتعليمى والدينى والأخلاقى والترفيهى والأسرة ، وكل نظام من تلك النظم أو كل نمط من هذه الأنماط السلوكية له معاييره وقواعده التى يلتزم بها غالبية الناس. وقد ينحرف بعض الافراد من تلك القواعد فيكون انحرافهم نتيجة التزام أو امتثال أكثر من اللازم More than Conform لتلك المعايير وهو هنا انحراف مقبول من المجتمع Approved deviation أو انحراف تخطى حد التسامح للمجتمع فهو بذلك سلوك منحرف غير موافق عليه من المجتمع Disapproved deviation وهو مايسمى بالمشاكل الاجتماعية Social problems أى أن المشاكل الاجتماعية هى سلوك منحرف غير موافق عليه فى كل نظام من هذه النظم الاجتماعية كالشذوذ الجنسى أو الاختلال العقلى أو السلوك الاجرامى...الخ.

---

(1) Landberg, op. cit., P.P. 166 - 201.

(2) Ibid., P. 311.

هكذا يوضح " لندبرج " نظريته هذه عن المشاكل الاجتماعية بأن يفترض أن أى نوع من أنواع السلوك الاجتماعى موزع بين النـــاس على شكل منحنى اعتدالى Normal c rve ومعظم الناس فيه ملتزمون بمعايير المجتمع لهذا النمط من السلوك حيث يشكلون ثلثى سكـــان المجتمع وبالتالى الجزء الأكبر من المنحنى. أما طرفى المنحنى فهى تمثل الثلث الآخر لسكان المجتمع إذ توضح الانحراف عن تلك المعايير سواء كان انحراف موافق عليه أو غير موافق عليه بحيث يشمل كل طرف سدس سكان المجتمع (١) . ان هذا يصل بنا الى ضرورة التعرف على الكيان الذاتى والموضوعى للمشكلات الاجتماعية .

الكيان الذاتى والموضوعى للمشكلات الاجتماعية :

يتفق كثير من علماء الاجتماع الغربيين على أن المشـــكلات الاجتماعية جوانب ذاتية Subjective وأخرى موضوعية Objective.

هنا - نجد أن كل من هوارد بيكر H. Beker وكيرســـــون وينبرج Kirson weinberg أنهما يتفقان على تعريف المشـــكلات الاجتماعية بناء على تعريف ريتشارد نوللر وريتشارد مايرز لتـــــلك المشكلات Richard Fuller Richardmyers (٢) فيقول بيكر أن المشكلة الاجتماعية هى حالة يعرفها بعض الأفراد على أنها انحـراف عن بعض المعايير الاجتماعية التى يعتنقوها، وعلى هذا الاساس فكـل مشكلة اجتماعية لها كيان موضوعى Objective condition ولهـــا

---

(2) Fuller & Myers " the natural History of Social problems ", 1941, P.P. 211-231 & Fuller & Mayers, " Some Aspects of A theory of social problems ", American Sociology Review, Fet. 1941, P.P. 24 - 32.

(1) Ibid, P. 324.

تعريف ذاتى Subjective defintion فالكيان الموضوعى للمشكلة هو موقف يمكن للباحث المدرب فيه أن يتحقق من وجوده وحجمه مثل مشكلة تزايد أو تناقص السكان أو البطالة ...الخ.

أما التعريف الذاتى لها فهو معرفة بعض الافراد ان هذا الموقف يشكل تهديدا لبعض القيم التى يحرصون عليها .

وعلى هذا فالكيان الموضوعى للمشكلة ضرورى لكنه ليس كافيا وحده لتكوين مشكلة اجتماعية على الرغم من أن الكيان الموضوعى لمشكلتنا قد يكون موجودا فى منطقتين فى آن واحد الا أنه قد يكون مشكلة هنا وليس كذلك هناك.

فالمشاكل الاجتماعية اذا هى مايعتقد الناس انها كذلك ، فاذا لم يعرف الناس أى كيان موضوعى لمشكلة ما على أنه مشكلة فهو لن يشكل مشكلة بالنسبة لهم مع انه قد يكون مشكلة بالنسبة للآخرين أو بالنسبة للعلماء والدارسين. وفى نفس الوقت فان تعريف الناس لموقف ما على أنه مشكلة اجتماعية لن يجعل من هذا الموقف مشكلة حقيقية الا اذا كان لها وجود موضوعى فعلا ، فقد يعتقد بعض الأفراد فى وجود مشكلة ما وقد لا يكون لهذه المشكلة كيان حقيقيا وموضوعى كاعتقاد بعض الناس فى السحر والسحرة مثلا أو لاعتقاد آخرين بتوقع حدوث غزو للارض من سكان الكواكب الاخرى. ففى هذه الحالة رغم اعتقاد هؤلاء فى المشكلة وتعريفهم الذاتى لها الا انه لا يمكن ان نعتبرها كذلك لعدم وجود كيان موضوعى لها ، أى أن المشكلة الاجتماعية ينبغى أن تكون مشكلة حقيقية موجودة فعلا.

اذا المشكلة الاجتماعية لابد وأن يتوافر لها كل من جانبيها الذاتى والموضوعى معا حتى يتعرف على أنها مشكلة اجتماعية .

ولا يختلف فرانسيس مريل Francis Merrill مع " بيكر

وريزنبرج " فى هذه النقطة ، فهو يرى أن المشاكل الاجتماعية تساهم فى وجودها عوامل مادية موضوعية وأخرى ذاتية ، أما الأولى فهى تمثل فى السلوك الانسانى الواقعى والظروف الموضوعية كانحراف الاحداث كما يظهر فى المحاكم ، والجرائم كما هى فى مفهوم رجال البوليس ، والعاطلين الذين يبحثون عن عمل والاسر المفككة نتيجة الطلاق..الخ.

أما العوامل الذاتية فهى الكيفية التى يرى بها الناس تلك الظروف الموضوعية طبقا لمعاييرهم وقيمهم وبالتالى يصدرون عليها أحكامهم المختلفة .

هذا- فالمشكلة الاجتماعية عند ميللر لها عناصر ثلاث تساهم معا فى تكوين المشكلة :-

١- موقف اجتماعى .
٢- القيمة التى تحكم هذا الموقف .
٣- العمل الاجتماعى المناسب تجاه هذا الموقف .

ولكن من هم الذين يحكمون على المشكلة بأنها كذلك، أى يعرفونها تعريفا ذاتيا ؟ ولكى نجيب يفسر كل من " بيكر وكيرسون وروزنبرج " هذه النقطة بأن حكم الافراد على موقف ما بأنه مشكلة اجتماعية يختلف باختلاف هوءلاء الأفراد وباختلاف الجماعات والفئات التى تجمعهم ، فكل فئة أو جماعة ترى المشكلة من جانب يختلف عن الفئة الاخرى حسب اهتماماتهم وقيمهم ، فكلما كثر عدد المهتمين بمشكلة ما كلما كثرت التعريفات الواحدة داخل نفس المجتمع .

مثلا- فالتفرقة العنصرية يراها الزنوج وبعض البيض فى أمريكا على أنها مشكلة اجتماعية من حيث حرمان الزنوج من المشاركة فى المجتمع الامريكى كمواطنين عاديين مثل باقى المواطنين. أيضا-

وبالنسبة لكثير من رجال السياسة وبعض علماء الاجتماع فهى تعنى التوتر والعنف الناتج عن عدم استجابة البيض لمطالب الزنوج للحصول على حقوقهم . وبالنسبة للاخصائيين الاجتماعيين فهى مشكلة تعنى كيف يمكن تخفيف الضرر الواقع على الزنوج عبر أجيال متعددة وذلك بمنحهم حقوقهم . كذلك وبالنسبة للدبلوماسيين هى مشكلة فى مدى امكان تأثيرها على العلاقات المتبادلة بين الولايات المتحدة وبعض شعوب وحكام بعض الدول الافريقية والاسيوية .أما - بالنسبة للاباء الامريكيين فهى مشكلة تعبر عن قلقهم لما قد ينتج من مشاكل لوجود أبنائهم كزملاء دراسة مع أبناء الزنوج .. وهكذا .

ولذلك يرى بيكر ضرورة معرفة رأى كل الفئات المختلفة فى المجتمع ووجهات نظرهم من المشكلات الاجتماعية حتى يمكن الانتهاء الى تفسير شامل للمشكلات الاجتماعية .

هنا- يجب أن نتعرف على مفهوم المشكلات الاجتماعية والحالة المثلى التى ينشدها المجتمع.

المشكلات الاجتماعية والحالة المثلى التى ينشدها المجتمع :

هناك مجموعة أخرى من التعريفات تنظر الى وجود المشكلة الاجتماعية كحاله مخالفة لما يجب أن يكون عليه الوضع الامثل الذى ينشده أفراد المجتمع. الا أن هذه التعريفات لا تشير صراحة الى ماهية هذا الوضع الامثل المنشود فنجد الدكتور " مانيوس Alan Maneus " فى تعريف حديث لما وصفه " هورثون ولبسيل Horton & Lesile " وهوالتعريف الذى يؤكد فيه أن المشكلة الاجتماعية تتواجد عندما يبدأ أفراد المجتمع فى أن يعبروا عن استيائهم من وضع معين بأن يقولوا "اليس هذا فظيعا " لماذا لا يفعلون شيئا تجاه ذلك !! حينئذ يمكن لنا أن نتأكد بأن هناك وضع معين فى هذا المجتمع يهدد الوضع الامثل الذى

ينشده هذا المجتمع أو كما يقول واضعى هذا التعريف أن هناك حالة معينة تؤثر فى مجموعة من الناس بطريقة غير مقبولة ومرغمة لديهم ولذا يشعرون تجاهها بضرورة اتخاذ اجراء اجتماعى يحد من ضرر هذه الحالة وتأثيرها السيء عليهم .

أما " روبرت ميرتون " فهو يوضح هذا المعنى بطريقة أفضل، حين يعرف المشكلة الاجتماعية . بأنها ذلك الوضع الذى ينشأ نتيجة وجود اختلال بين الوضع الامثل الذى ينشده المجتمع وبين الحالة الواقعية وبشرط أن يكون لدى غالبية أفراد هذا المجتمع رغبة أكيدة فى ازالة هذا الاختلال بين الوضع الامثل والحالة الواقعية ، ويسعون فعلا الى ازالته ، على أن يكون أساس هذه المشكلة اجتماعيا .

أما تلك المشكلات التى يراها " ميرتون " معبرة عن تعريفه هذا والتى أوردها فى كتابه المشار اليه وأيضا التى يعتبرها مشكلات عصرية تتناسب مع روح العصر الحالى وما يتميز به من مدنية وتصنيع وحضرية وتغير سريع، والذي يتفق معه فى هذا الكثيرين من علماء الاجتماع الامريكيين أمثال روبرت نسيبت وليمرت وكلينارد ووزينبرج وفرنسيس ميللر وهوارد بيكر وآبوت هرمان وغيرهم ، هذه المشكلات يمكن حصرها فى عدة مشاكل أساسية تمثل المشكلات المعاصرة وهى (١) :

١ - الخلل والاضطراب العقلى .

٢ - انحراف الاحداث .

٣ - اتجاه التخلف الثقافى . The Culture Lag approach

٤ - اتجاه القيم . The Value Structure approach

٥ - اتجاه المجتمع. The Community approach

---

(1) R. merton, Op. Cit., P. P. 223 - 229.

أما والاس فهو يرى أن الدراسة السوسيولوجية تلخص فـــى اتجاهين فقط هما :

١ ـ اتجاه التخلف الثقافى.

٢ ـ اتجاه التفكك الاجتماعى.

أما " كيرسون ورزنيبرج وروبرت نيسبت وفرانسيس ميريـــل" فهم يركزون على عوامل التغير الاجتماعى للمجتمعات العصرية ومـــا يصاحبه من تصنيع ومدنية وتحضر كأساس للمشكلات الاجتماعيـــــة المعاصرة .

هذا ـ وسنستعرض الآن بايجاز لأهم هذه الاتجاهات ووجهات النظر المختلفة فى تفسيرها :

١ ـ اتجاه المشكلات الاجتماعية :

يحدثنا هرمان عن هذا الاتجاه فى دراسة المشـــــكلات الاجتماعية فيقول انه من أعم وأقدم الاتجاهات التى تناولت دراســة المشكلات الاجتماعية . ويفرق بين نوعين من الدراسات التى تناولـــت هذا الاتجاه (١) .

الأولى وهى تلك الدراسات التى تعالج مجموعة كبيرة مـــن المشكلات الاجتماعية دفعة واحده وهو مانراه فى كثير من الموءلفـات والكتب التى تتناول بالدراسة مجموعة ضخمة من المشكلات كالجريمـة والخلل العقلى والانتحار..الخ.

أما النوع الثانى من تلك الدراسات فهى التى تختـــــص بدراسة فرع واحد من المشكلات دراسة مستفيضة مركزة كدراسة الجريمة

---

(1) A. Herman, " Social Problems ", P. P. 9 - 17.

أو ادمان المخدرات بحيث يشتمل بحث كامل أو موءلف كبير على دراسة مشكلة واحدة فقط.

ويهدف النوع الأول من تلك الدراسات الى القاء الضوء على ظاهرة المشكلات الاجتماعية فندرس كل مشكلة على حده من حيث مدى انتشارها والشكل الذى تأخذه أو الكيفية التى تعبر بها عن نفسها وأسبابها وأثرها على الفرد وعلى المجتمع والوسائل الكفيلة بالسيطرة على تلك المشكلة .

أما النوع الثانى فهو يتخذ نفس هذه الخطوات مع التركيز على مشكلة واحدة مما يعطى للدراسة تركيز واستفاضة أكثر .

أما عن مميزات هذا المنهج فانه يمكن القول اذا كان لهذا المنهج مميزات فهى تتلخص فى ابرازه لحجم المشكلات الاجتماعية ودق ناقوس الخطر منبها الى وجودها ونبذ الفكرة الشائعة لدى كافة الناس من سهولة المشكلات الاجتماعية وامكان حلها ، هذا بالاضافة الى أن مثل هذا الإتجاه قد يفيد بعض المشتغلين فى المجالات المهنية العملية كالاخصائيين الاجتماعيين وخاصة النوع الثانى من هذه الدراسات ، من حيث امداد هوءلاء بمعلومات سريعة ومتعددة عن المشكلة التى يحاولون التخفيف من آثارها على المجتمع وأفراده الا أنها تفيد فى اثراء النظرية السوسيولوجية أو المعرفة النظرية عن ظاهرة المشكلات الاجتماعية .

أما عن أهم المساوىء البارزة لهذا النوع من الدراسات هو تجزيىء الظاهرة بحيث تدرس المشكلة الاجتماعية المعينة كظاهرة اجتماعية قائمة بذاتها وليس فى ضوء علاقاتها بالمشكلات الأخرى وبالظواهر الأخرى فى المجتمع أو بمعنى آخر بعدم ربطها بأطار نظرى شامل يمكن أن تفسر فى ضوئه .

وقد أوضح " هومان " ذلك اذ يقول أن هناك علاقات متبادلة بين المشكلات جميعا وهذا يتضح فيما يلى :

أ - ان الدراسات والبحوث أوضحت أن هناك عناصر وجوانب مشتركة تساهم فى اثارة بعض المشكلات الاجتماعية المختلفة كتفكك الاسرة والطلاق والجريمة والتمييز العنصرى.

ب - ان التصنيع ونمو المدن له آثار بالغة كأساس لاثارة مجموعة كبيرة من المشكلات بحيث لايمكن دراسة مشكلة منها بعيدة عن الأخرى.

جـ - ان كثير من الدراسات أوضحت أن أساس المشكلات يكمن فى التغير الاجتماعى Social change فهو يكون سببا عاما مشتركا لجميع المشكلات ولذلك يرى هرمان ضرورة عدم الأخذ بمبدأ التجزيىء Atomism فى دراسة المشكلات الاجتماعية وهو ما سنناقشه فى تعليقنا العام على تلك الدراسات.

٢ - اتجاه التفكك الاجتماعى : The Social disorganization approach :

يشترك كل من ماثيوس (١) وهرمان (٢) وغيرهم فى مناقشة مفهوم التفكك الاجتماعى كاتجاه سوسيولوجى لدراسة المشكلات الاجتماعية ، فيقول ماثيوس بأن هذا الاتجاه الذى يركز على عملية التفكك الاجتماعى كاتجاه سوسيولوجى لدراسة المشكلات الاجتماعية والذى يرجع فى نفس الوقت عملية التفكك هذه الى العملية الأكبر

---

(1) A. Mathens, Social problems, Unpublished paper, A.U.O. 1963. P.P. 61 - 66.
(2) A. Herman, Op. Cit., P.P. 18 - 32.

شمولا وهى عملية التغير الاجتماعى بصفة عامة التى توءدى الى هـــذا التفكك. وبالتالى الى وجود المشكلات الاجتماعية. بينما يرى هرمان أن استخدام مفهوم التفكك الاجتماعى فى تفسير أسباب المشكلات الاجتماعية هو محاولة لتلافى النقص الذى يشوب اتجاه المشاكل الاجتماعيـــة السابق من حيث خلو اتجاه التفكك الاجتماعى من الخاصة التجريبيـة التى كانت تشوب هذا الاتجاه.

هكذا- كان الأخذ بمفهوم التفكك الاجتماعى كوسيلة لتفســير أسباب المشكلات الاجتماعية بطريقة تكاملية من ناحية ارجاعها جميعا الى عملية اجتماعية واحدة هى عملية التفكك الاجتماعى بحيث تشكـل الاطار النظرى لهذه التفسيرات.

كذلك - يرى " هرمان " أن مفهوم التفكك الاجتماعى يعـنى عدم التوافق بين الأفراد وبين قوانين الجماعة وعدم الانصياع والالتزام بتلك القوانين، وبالتالى يفقد الضبط الاجتماعى التقليدى تأثيره ويقلل من تماسك الجماعة، ونتيجة لكل هذا تنتج المشكلات الاجتماعيـــة المختلفة والانحرافات السلوكية.

أما " روبرت فاريس H. Faris فى كتابه الشهير التفـكك الاجتماعى (١) Social Disorgrmization فيرى أن عملية التفـــكك الاجتماعى تعنى تفكك العلاقات الوظيفية بين أفراد المجتمع لدرجـة تعوق آداء المجتمع لوظائفه الأساسية.. ومن أبرز مظاهر التفـــكك الاجتماعى كما يقول " فاريس " هو عدم تكامل الأدوار والوظائف الـتى يوءديها أفراد المجتمع Disintegration Roles وفشل المجتمـــع

---

(1) R. Faris, Social Disorganization, N. Y. 1948. P.P. 82 - 89.

بالتالى فى أداء وظائفه التى أتفق على أنها مسئولية المجتمع وهيئاته ومنظماته المختلفة، والتى اذا ما فشل المجتمع فى تحقيق كل أو بعض هذه الوظائف أدى هذا الى وجود حالة من التفكك الاجتماعى.

ومن أمثلة ذلك فشل المجتمع فى أداء الوظائف التالية :

أ - التنشئة الاجتماعية السليمة للاطفال داخل الاسر.

ب - الدور الدينى الذى تؤديه دور العبادة.

جـ - الوظيفة الاقتصادية من حيث الانتاج وتوزيعه وتوزيع الثروة.

د - تحقيق النجاح السياسى من حيث منع الجريمة والانحراف الاجتماعى بصوره المختلفه وتقديم الخدمات المختلفة للمجتمع المحلى والدفاع عن الأمة.

أما المظهر الثانى من مظاهر التفكك الاجتماعى فهو عدم تفهم الاهداف المشتركة للمجتمع وذلك نتيجة لوجود مايسميه فاريس بالصراع الداخلى.

أما جيمس Gems Ford فيرى أن مفهوم التفكك الاجتماعى يمكن أن يندرج تحته الاتى (١) :

أ - كل الموضوعات التى تدخل تحت مفهوم الامراض الاجتماعية وكل مشاكل عدم التكيف الاجتماعى.

ب - كل مظاهر الفشل فى التوافق مع قوانين ومعايير المجتمع سواء كانت عادات أو تقاليد أو عرف أو قوانين.

جـ - اعاقة الجهود التى تبذل لضمان وحدة واستقرار وأمن المجتمع.

وهنا - يرى أن عملية التفكك الاجتماعى بالنسبة للمجتمع ككل

---

(1) G. Ford, " Social deviation ", London, 1982, P.P. 101 - 109.

تعنى حالة من عدم التوازن، وبالنسبة لأفراد المجتمع فالتفـــــــكك الاجتماعى يؤدى الى اعاقة تحقيق الأهداف الاجتماعية للفـــــرد والى تهديد كيانه وحريته وانجازاته . أما عن أسباب وجود التفكك الاجتماعى فيرجعه فورد الى مفهوم التخلف الثقافى.

٣ ـ اتجاه التخلف الثقافى : The Culture Lag Approach

يتفق الكثير من علماء الاجتماع الغربيون على ارجاع أسبـاب المشاكل الاجتماعية الى ما أسماه " وليام أوجبرون " بالتخلف الثقافى ومن هوءلاء " ويفرز وهرمان وجيمس فورد " وغيرهم .. ويشير مفهـــوم التخلف الثقافى فى نظرية " أوجبرون " بما يلى :

أ ـ وجود جوانب للثقافة تتغير فى سرعات مختلفة وبدرجات متفاوتة .
ب ـ ان الجوانب المادية للثقافة تتغير بسرعة أكثر من الجوانـــب الغير مادية أو الايدلوجية .
جـ ـ ان المشاكل الاجتماعية تنشأ نتيجة للتخلف الذى ينتج مـــــن محاولة التكيف بين التغيرات المادية والغير مادية وعدم ملاحقة الثانية للأولى (١)

ويرى " هيرمان " أن المشكلات الاجتماعية تنشأ طبقـــــا لمفهوم اتجاه التخلف الثقافى نتيجة لعاملين (٢) :

الأول : حدوث التغير .
الثانى: حدوث مقاومة ثقافية للتغير الاجتماعى Social Change .

وهو لذلك يقول أننا لو وضعنا لفكرة التخلف الثقافـــــى

---

(1) W. Ogburn. " The culture lag approach ", 3ED., N. Y. 1984, P. P. 211 - 214.
(2) A. Herman, Op. Cit., P. 29.

والمشكلات الاجتماعية معادلة رياضية فانها سوف تقرأ كما يلى :

Social problems = Change x culture resistance

مع ملاحظة وضع علامة × وليس + هنا لأنه لو حدث تغيير بدون حدوث مقاومة أو معارضة لهذا التغير أو لأحد جوانبه لما نشأت مشكلات اجتماعية أصلا، لأنه فى هذه الحالة سيكون هناك اتفاق وتوافق بين التغير الذى حدث والنظم الاجتماعية والقيم السائدة فى ذلك المجتمع.

والذين يأخذون بمفهوم التخلف الثقافى هذا كأساس للمشكلات الاجتماعية يربطون بين التغير والقيم الاجتماعية السائدة. فكلما حدث تغير لابد أن تتغير أيضا القيم التى يتمسك بها أفراد المجتمع والا نشأت المشكلات الاجتماعية، وكلما كانت تلك القيم قديمة وراسخة كلما كانت المشاكل متعددة ومعقدة وذلك لصعوبة حدوث التغير فى تلك القيم البعيدة الجذور، ولا يشترط فى هذه الحالة أن تتغير كل قيم المجتمع وكل نظمه بنفس الدرجة التى حدث بها التغير، فالنظم والقيم الشديدة الاتصال بالجوانب التى تغيرت هى التى ينبغى أن تتغير بنفس درجة التغير الذى حدث حتى يتفادى المجتمع عدم التكيف ويتجنب المشكلات الاجتماعية، ولا يعنى هذا أن باقى نظم المجتمع لن تتغير بل لابد أن تتأثر كل نظم المجتمع وكل قيمه بدرجات متفاوته.

ويقول " اوجبرون " أن المشكلات الأساسية للمجتمع الحديث سوف تنتج بسبب حدوث تغير غير محكم فيه Uncontrolled change كما ويرى ان السبب الرئيسى فى المشكلات الاجتماعية هو فشل قيم المجتمع فى التوافق مع جوانب التغير حتى تتحقق أهداف المجتمع. وهذا الفشل فى رأيه هو قلب التخلف الثقافى وأساسه، فاذا ماتمسك سكان مجتمع ما بقيمهم المقدسة بدلا من محاولة التكيف مع التغير الذى حدث فانهم سوف يدفعون ثمن ذلك فى شكل مواجهتهم لمشكلات معقدة

ومستعصية (١) .

٤ ـ اتجاه القيم المتصارعة :

يتخذ كثير من علماء الاجتماع هذا الاتجاه على أنه من الأسباب الرئيسية فى اثارة المشكلات الاجتماعية ، وقد سبق أن ناقشنا هذا الميل فى تفسير المشكلات الاجتماعية عند " روبرت ميرتون وروبرت نيسبت " وغيرهما بل أن " ماثيوس " يعتبره كما أشرنا من الاتجاهات الرئيسية التى تساهم فى تكوين النظرية السوسيولوجية للمشكلات الاجتماعية ويقول " هرمان " أن أكثر المتحمسين لهذا الاتجاه (٢) هو " ريتشارد فوللر " الذى كما نجده فى كتاب له قد هاجم كل من اتجاه المشكلات الاجتماعية واتجاه التفكك الاجتماعى كأساس لتفسير المشكلات الاجتماعية ومن ثم أراد أن يبنى اتجاها جديدا لدراسة المشكلات وهو اتجاه القيم المتصارعة ويعنى بها " فوللر " بالقيم أو المعايير deals أو المثل والمعتقدات Beliefs السائدة فى مجتمع ما .

هذا ـ كما ترتبط الاحكام القيمية للناس أو قيم المجتمع بالمشكلات الاجتماعية نتيجة للعوامل التالية . (٣) :

أ ـ أنها تحدد ماهو المشكلة وماهو غير ذلك فقد تعرف ظاهرة ما بأنها مشكلة فى مجتمع ما ، بينما نجد نفس هذه الظاهرة على أنها وضع طبيعى فى مجتمع آخر وذلك طبقا للقيم السائدة فى كل مجتمع كما سبق أن أوضحنا .

ب ـ أنها أى القيم تساعد على خلق المشكلة وتصبح بذلك أحد عوامل

---

(1) W. Ogburn, op. cit., P. 215.
(2) A. Herman, op. cit., P.P.31 - 34.
(3) Ibid., P. P. 34 - 35.

المسببة لها فمثلا اهتمامنا بالنواحى المالية، وحبنا الشديد لاقتناء الأموال والثراء يساعد على خلق جرائم السرقة والسطو على الممتلكات الخاصة ومحاولة اقتنائها، كذلك تقديسنا لنظام الزواج المونوجرمى يجبر الام الغير متزوجة على أن تنكر وترفض ابنها الغير شرعى.

جـ - ان القيم لها دور هام فى اعاقة وعرقلة حل المشكلات الاجتماعية لأن وجود قيم متصارعة توءدى الى عدم الوصول الى اتفاق على ما يجب عمله تجاه مشكلة ما، فقد يرفض البعض ان يتخلى عن القيم المقدسة حتى ولو كانت تسبب مشكلة اجتماعية بالنسبة لقيم جماعة أخرى.

٥ - المجتمع العصرى والمشكلات الاجتماعية :

يعطى علماء الاجتماع أهمية بارزة للمجتمعات العصرية لما لها من آثار بالغة فى اثارة المشكلات الاجتماعية بشتى أنواعها، فيرى - على سبيل المثال - وينبرج (١) أن المشكلات الاجتماعية تنشأ فى المجتمع الحضرى الحديث نتيجة العوامل التالية :

أ - التعقيد التكنولوجى بالتغيير السريع.
ب - التنوع والتباين بالصراع الثقافى.
جـ - العلاقات الاجتماعية الغير شخصية بين أفراد المجتمع وأنقسام الضبط الاجتماعى فى المجتمع بالسمة الرسمية.
د - الحراك الاجتماعى والمنافسة.

وهى معانى تناولها الكثير من علماء الاجتماع الغربيين كعوامل مسببه للمشكلات الاجتماعية ومن هذا المفهوم انطلق الكثيرين

---

(1) Ibid., P. P. 33 - 36.

من هوءلاء العلماء الى محاولة التسليم بحتمية وجود المشكـــــــلات الاجتماعية وارتباطها بالمجتمعات الحديثة المعاصرة ووضع قائمـــــة حتمية لعديد من المشكلات التى أسموها بالعصرية .

٦ - الانحراف الفردى والمشاكل الاجتماعية :

ويرى هذا الاتجاه أن الانحراف الفردى وخروج الأفراد عـــلى معايير المجتمع وقيمه السائدة هو أساس لقيام المشكلات الاجتماعية ، ويرجع هوءلاء أسباب انحراف الافراد الى اكتسابهم لأنماط سلوكيـــــة نتيجة انتمائهم لثقافات فرعية فى المجتمع هى المسئولة عن اكسابهـم مثل تلك الأنماط السلوكية المنحرفة . وعلى هذا الأساس يرى أصحـــاب هذا الاتجاه أن دراسة المشكلات الاجتماعية يتم من خلال دراسة السلوك المنحرف للافراد أو الجماعات ومدى خروج هوءلاء على المعايير والقـيم السائدة .

وفى تعليقنا على هذا الاتجاه نتساءل عن ماهية المعاييـــر والقيم التى لم يلتزم بها هوءلاء الافراد والجماعات التى يصفهم الاتجاه بالانحراف من حيث مدى ملائمة وتوافق هذه المعايير والقيم مـــــــع الغالبية العظمى لافراد المجتمع ومدى تمثيلها لهذه الغالبية ومـــــدى مساهمتها فى تحقيق الاهداف المشتركة العامة للمجتمع. فالمعروف أن القيم والمعايير السائدة فى المجتمعات الرأسمالية هى تلك التى تمثل مصالح القلة من الرأسماليين ذوى النفوذ والقوة وبالتالى تصبح تـــلك القيم هى النمط السائد ويصبح عدم الالتزام بها هو انحرافا سلوكيـــا والمثل واضح فى ثورات الزنوج فى المجتمع الامريكى. أما السوءال الثانى الذى ينبغى ان نتساءل عنه فى مجال نقدنا لهذا الاتجاه هو اذا كـان هوءلاء الافراد قد انحرفوا بسبب اكتسابهم لانماط سلوكية منحرفة نتيجة لانتمائهم لجماعات فرعية أو الثقافات الفرعية ذات السلوك المنحـرف

هكذا نجد كأى مفهوم اجتماعى انسانى وسلوكى تلقى المشكلات الاجتماعية عند محاولة تعريفها من الخلاف السيىء الكثير ولهذا عرفها ثيودورس [١] ان المشكلة الاجتماعية هى حالة أو موقف غير مرغوب فيه باتفاق غالبية لها وزنها من الناس فى مجتمع من المجتمعات، وعليه فانهم لايتسامحون مع هذه الحالات أو تلك المواقف بل ويتخذون ضدها اجراءات جماعية فى محاولة العودة بها الى الطريق القويم.

أما ونتلر [٢] فيعرف المشكلة الاجتماعية بأنها عبارة عن حاله تنظر اليها الجماعة على أنها انحراف وخروج عن الحدود الاجتماعية المرسومة أو أنها تدمير للنظام الاجتماعى القائم كما أنها طريق لسلوك يخرج فيه شخص أو جماعة ما عن المتعارف عليه اجتماعيا.

وقد عرف روث [٣] المشكلة الاجتماعية بأنها موقف منحرف يعبر عن موقف مرغوب فيه.

ويقول راب وسليزنيك [٤] أن المشكلة الاجتماعية هى مشكلة فى العلاقات الانسانية التى تهدد المجتمع ذاته تهديدا خطيرا، أو تعوق المطامع الرئيسية لكثير من الافراد ويضيف راب وسيلزنيك قائلا أنه حينما يصف المظهر الأول للمشكلة الاجتماعية توجد المشكلة الاجتماعية عندما توجد لدى المجتمع القدرة على تنظيم العلاقات الانسانية بين الناس

---

(1) Theador, George A. & A. Chilles G. Theadorson " Modern dictionary of Sociology, Thomasy, Croweli company, New York 1970. P.P. 206 - 207.

(2) Venter, Robert " A. Basic Social problems ", Rand Mc Nally & Company chicoga 1971. P. 23.

(3) G. Ross, " Social problem ", N. Y. 2Ed. 1979. P. 53.

(4) E. Rob and C. J. selzonich, op. cit., 23.

وتضطرب النظم السائدة وتهتك القانون وينعدم انتقال القيم من جيل الى جيل آخر ويتحطم اطار التوقعات. فالمشكلة تمثل انهيارا داخل المجتمع ذاته. ويعرفها " ليموت " [١] أنها انحراف داخل اطار المجتمع يدور فى دوائر تبدأ من الفرد وتنتهى الى مجتمع ويمكننا تصنيف المشكلات فى أى مجتمع الى أربع أنواع تختلف عن بعضها فى طبيعتها.

أولا : مشكلات أساسية :

أى عدم قدرة الخدمات الموجودة على الوفاء بحاجات كل الأفراد فى المجتمع ويمكن القول مثلا أن سكان احواش المقابر مظهر من هذا النوع.

ثانيا : مشكلات تنظيمية :

ومن أمثلتها : الاجرام ، السرقة ، التسول ، التشرد.

ثالثا : مشكلات مجتمعية :

ومن أمثلتها سوء العلاقات بين الجماعات المختلفة فى المجتمع وعدم اهتمام المواطنين بمشكلاتهم وترك هذه المشكلات للظروف.

ويتفق الدكتور عاطف غيث مع فيرتشالد [٢] فى أن المشكلة الاجتماعية عباره عن موقف ينجم عن ظروف المجتمع أو البيئة الاجتماعية

---

(1) Lemart, Social Problems, London, 1951, P. P. 11-22.

(2) Fairtchild, Henry, A Dictionary of sociology and Ralated Sciances little Field, Adams company , New Jeruey 1977. P. 206.

انظر ايضا :
محمد عاطف غيث وآخرون. قاموس علم الاجتماع. القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩.

ويؤكد التعريف أيضا على العنصر الذاتى فى المشاكل الاجتماعية ومعنى ذلك أنه لايمكن أن يوجد مايسمى " بالمشكلة الاجتماعية " الا اذا حدد نموذج السلوك على أنه هكذا. ان طريقة السلوك ذاتها قد توجد عند كثير من الشعوب، ولكن اذا لم تحدد هذه الطريقة على أنها تمثل تعديا على بعض المعايير، ومالم ينظر اليها عدد ضخم من الناس باعتبارها اعتداءا على الضمير الاخلاقى، فانه لا يمكن تسميتها مشكلة اجتماعية .

هنا يلقى الضوء على قضية الوعى الاخلاقى فى المجتمع. فكما أن هناك علاقة متبادلة بين الفكر الفردى، والاعتراف بالمشاكل المعرفية، فهناك أيضا علاقة متبادلة بين الوعى الاخلاقى فى مجتمع معين ووجود مشاكل اجتماعية بالذات. واذا كان الوعى الاخلاقى يختلف من مجتمع الى آخر ، فهو يتفاوت أحيانا بين جماعة وأخرى فى نفس المجتمع.

على أننا لايجب أن نهتم فى دراستنا للمشاكل الاجتماعية بالعوامل الاجتماعية والاخلاقية والمعرفية المرتبطة بها فحسب، بل أيضا بالاتجاهات التاريخية التى اكتسبت المشاكل الاجتماعية من خلالها الاعتراف الشامل فى المجتمع الحديث. وهناك فى هذا الصدد اتجاهان تاريخان هما : الاتجاه العقلانى العلمانى والاتجاه الانسانى. وينصب جوهر الاتجاهان العقلانى العلمانى على تغيير الأفكار التى كانت سائدة عن المشاكل والظروف الاجتماعية . من السياقات اللاهوتية القديمة عن طبيعة الخير والشر ، الى السياقات العقلانية عن الفهم التحليلى والضبط الذى يعتبر عاملا هاما. أما الاتجاه الانسانى فيمكن معرفته من خلال النظامية المتسايره والمستمرة للعون والرعاية حيث أن المشاعر التى تكمن وراءهما ليست مثل عواطف فردية ، ولكنها تدعمت عن طريق الأساليب المقررة اجتماعيا. فهى تزيد الميل

نحو المساواة بين الفئات الاجتماعية [١] .

والخلاصة أن المشكلة الاجتماعية غير منفصلة عن الوظيفة التى تقوم بها فى سياق التفاعل والمشاركة . أى أنه ليست هناك مشكلة اجتماعية فى ذاتها . وانما توجد المشكلة فى سياق معين، وظروف اجتماعية وثقافية محددة . ومن ثم فان المشاكل الاجتماعية ترتبط بضم مجتمع معين، وبمعاييره ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فيه والتى قد تتميز بالفردية ، والعلمانية ، والتعاقدية ، وعلى العكس فقد تتميز بالجماعية ، والقدسية ، واللا تعاقدية ، ويؤكد علم الاجتماع الحديث أن السلوك الاجتماعى - سواء كان أخلاقيا أو قانونيا أو خارجا على القانون لا يمكن فهمه الا فى ضوء القيم التى تمنحه معناه ومدلوله ، والنظم التى تحدد وسائل تحقيقه . وتتميز المشاكل الاجتماعية عن غيرها من المشاكل الأخرى بعلاقتها الوثيقة بالسياقات النظامية والمعيارية فهى اجتماعية لأنها متصلة بالعلاقات الانسانية وبالسياق القيمى الذى توجد فيه العلاقات الاجتماعية ذاتها ، وهى مشاكل - لانها تمثل تصدعات فى المخططات المتوقعة اجتماعيا ، والمرغوبة من الناحية الاخلاقية . وهذا يعنى أن هناك بعدا ذاتيا بجانب البعد الموضوعى فى أى مشكلة اجتماعية . أى أنه لا توجد مشكلة اجتماعية معينة عند أى شعب دون أن يدركها على أنها كذلك. ومن أجل هذا يتدخل العنصر الذاتى فى تحديد المشكلة .

وهناك من علماء الاجتماع من لا يفرق بين المشكلة أو الانحراف أو التفكك باعتبار أنها درجات متفاوتة لشىء واحد هو انعدام التوازن فى ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية ، ولذلك

---

(1) Alexisde Tecque ville, " Democracy in America ", N. Y. 1964, Vol. 11, Book 11. Chapter 1.

يستعملون هذه المصطلحات الثلاث كل فى مكان الآخر دون تمييز، مكليناارد مثلا يهدف من كتابه [١] أن يكون مرجعا فى المشاكل الاجتماعية والتفكك الاجتماعى والأمراض الاجتماعية .

أما ليمرت فهو ينظر الى المشكلة الاجتماعية على أنها انحراف يتم داخل اطار المجتمع ، ويدور فى دوائر تبدأ من الفرد وتنتهى الى الجماعة وهذا هو مانعتقد انه مكون لاطار المفاهيم عند كلينارد [٢] .

والمشكلة الاجتماعية كما يقول فيرتشايلد [٣] هى موقف يتطلب معالجة اصلاحية وينجم عن ظروف المجتمع أو البيئة الاجتماعية أو يتحتم معه تجميع الوسائل الاجتماعية لمواجهته ولتحسينه ، وهاتان الخاصيتان تتلاقيان وتمتزجان فى أغلب الأحيان.

والحقيقة أنه لايوجد مجتمع - مهما كان بسيطا ومستقرا قد يخلو من الانحرافات الاجتماعية ، غير أن الدراسة المقارنة للسلوك الانسانى، كشفت عن مدى اختلاف تمازج المشاكل الاجتماعية وكثافتها من ثقافة الى أخرى، ومن عصر الى آخر. ويعتبر ذلك الى حد ما نتيجة متناقضة للوعى الاخلاقى. وكذلك يعتبر نتيجة لمستويات المعيشة المتناقضة ، ولتمايز تمازج السلطة الاجتماعية . والواقع أن المجتمعات البسيطة الشعبية ، التى يعتمد تنظيمها الى حد كبير على الروابط القرابية وبعض الروابط الشخصية الوثيقة ، لا تكون لديها هذه المشاكل التى نسميها اليوم " مشاكل اجتماعية " فى كثير من المجتمعات الغربية ، وانما تظهر مشاكل أخرى ترتبط بالتوافق مع البيئة الفيزيقية

---

(1) Clinard, R. C. " Sociology of Deviant Behaviour". N. Y.1969 , P. VII.

(2) Lemert, " Social Pathology ", London, 1961, P.P. 19 - 21.

(3) Fairchild, op. cit., P. 289.

المحيطة ، وهى تعنى فى الحاجة الى الطعام ، والمأوى، والأمن الفيزيقى. وحينما تسيطر مشاكل الوجود الفيزيقى، على انتباه الاعضاء فى مجتمع معين، يكون هناك احتمال ضئيل لظهور تفكك فى العلاقات الاجتماعية ،أو انحراف عن القواعد الاجتماعية ، أو غيرها من المسائل التى تعمد مشاكل اجتماعية فى المجتمع (١) .

مداخل متعددة لدراسة المشاكل الاجتماعية :

توجد أربعة مداخل ممكنة لدراسة المشاكل الاجتماعية وهى الدين، والقانون، والصحافة ،والفن. فمنذ آلاف السنين كانت القواعد والتشريعات الدينية والقانونية هى المنظورات الكبرى التى يمكن من خلالها تحديد المشاكل الاجتماعية أو مواجهتها .وتتمثل احدى الصعوبات الكبرى التى يواجهها عالم الاجتماع المعاصر فى مدخله الخاص الى المشاكل الاجتماعية ، فى الاتجاه القديم للعقل الانسانى نحو ادراك مشاكل اجتماعية معينة ، كانحراف الاحداث أو ادمان الخمر بوصفها خارجة على القانون أو افعالا شريرة (٢) .

ان الدين يحلل التجربة الانسانية ، وفى نفس الوقت ليس ما يقوله الدين عن المشاكل الاجتماعية هو الذى يميزه عن غيره ، بل ان طريقة ادراكه وتحديده وربطه لهذه المشاكل هى التى تعطيه طريقه القوى . وقد أكد دور كايم أن دائرة " المقدس " هى أقوى دائرة فى مجال التطور المبكر للوعى الانسانى حيث انبثق عنها وعن التمايز الذى وجد بينها وبين ماهو " مدنس ". كثير من المفاهيم الاخلاقية ، بل والميتافيزيقية ، ولذلك ظلت المشاكل الاجتماعية موضوعات تدخل فى دائرة ماهو مقدس ، أو مدنس، ماهو خير أو شر، صحيح أو خاطىء .

---

(١) عاطف غيث . دراسات فى علم الاجتماع التطبيقى. الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية لسنة ١٩٨١ ص ٤٦ .
(٢) المصدر نفسه . ص ص ٤٦ - ٤٩ .

ولذلك فان من وجهة أثر الدين تعالج كثير من المشاكل الاجتماعية — بوصفها تعديات على النظام الاخلاقى المقدس، حيث تعد مظاهر للشر وللخطيئة الاصلية. على أن هناك علاقة منطقية وتاريخية بين المدخلين: الدينى والقانونى لدراسة المشاكل الاجتماعية. فأفعال مثل القتل والسرقة ينظر اليها القانون — كما هو الحال بالنسبة للدين — على أنها تعديات على النظام المعيارى.

ومن وجهة النظر القانونية الخالصة، تعتبر المشكلة الاجتماعية واقعة قانونية قد تصنف بوصفها جريمة أو جنحة، أو اعتداء آخر على النظام القانونى. كما أن العملية القضائية الحديثة تهتم الى حد كبير بالطب والتحليل النفسى والعلوم الاجتماعية. وهناك بعض الحالات التى تبدأ بمسألة قضائية ولكنها تنتهى الى التحليل النفسى، أكثر مما تنتهى الى العقاب والقهر. ومعنى ذلك أن الهدف الضيق يتمثل فى الرعاية أكثر من العقاب. وان وقاية المجتمع من الجريمة أكثر من قهره للجريمة يعتبر علامه على ظهور الاعتراف بالاسهامات العملية التى تقدمها العلوم الاجتماعية والهيئات القانونية ذات الاهداف الانسانية.

هذا- وهناك مدخل مختلف تماما لدراسة المشاكل الاجتماعية وهو المدخل الصحفى، فقد كانت الصحافة منذ القرن الثامن عشر أداة لتحدى ومهاجمة الاستغلال والتفكك، والانحراف فى المجتمع. واليوم تعتبر الصحافة وسيلة فعالة لاثارة استجابات أفراد الشعب ضد الفقر والتخلف والجريمة والبقاء وانحراف الاحداث وعديد من الامراض الاجتماعية الأخرى.

كما يتمثل المدخل الآخر فى تحليل المشاكل الاجتماعية فى الفن بدوائره المختلفة سواء تلك التى تظهر فى التصوير، والطباعة أو المسرح أو الشعر أو الموسيقى، والهدف من ذلك اثارة انتباه الناس وشعورهم بالمشاكل الاجتماعية والاخلاقية.

وتشترك هذه المداخل السابقة لدراسة المشاكل الاجتماعية — فى تأكيدها على العامل الاخلاقى حيث أن طبيعتها غير منفصله عن القواعد والتشريعات الاخلاقية . ففى حالتى الدين والقانون مثلا نجد أن الهدف النهائى فى تحقيق الامتثال للنظام الاخلاقى أو القانونى ، أما فى حالة الصحافة أو الاعلام فان الهدف هو اثارة التعاطف الاخلاقى.

المنهج فى دراسة المشكلات الاجتماعية :

لاشك أنه بالتخطيط يستطيع المجتمع أن يتغلب على كثير من علامات التفكك ونتائجه . فاذا تم للمجتمع التغلب على سد ثغراته وأقام كيانه على نحو يمكن أن يقضى الى التماسك دخل فى حالة التعامل التى قد تظل ممتدة فترة طويلة . ولكن ليس هناك مفر من أن يعود المجتمع الى حالة تتهيأ فيها نقطة جديدة لدورة أخرى من دورات التغير الاجتماعى.

هذا ونجد هناك حقائق هامة يمكن أن تكون بمثابة الدليل عند اكتشاف المشاكل وتحديد نطاقها ومحاولة دراستها نلخصها فيما يلى :

أ - من الحقائق المسلم بها أن الثقافة والبناء الاجتماعى الذى يؤدى الى التعامل والسلوك المنظم يمكن أن ينبثق عنه مجموعة من أنواع السلوك الانحرافى ويكون متضمنا لاحتمالات عديدة للتفكك الاجتماعى. بهذا المعنى تكون المشاكل الموجودة فى مجتمع ما عبارة عن الضرائب الاجتماعية التى يدفعها بسبب تنظيم خاص يفرض على الحياة الاجتماعية .

ب - لذلك فأننا نرفض من وجة النظر السوسيولوجية العبارة التى تقول الشر يولد الشر، فقد يتولد الخير من الشر والشر من الخير فى ذات المجتمع.

جـ - المشاكل الاجتماعية هى النتائج غير المرغوبة - المباشرة وغير المباشرة ، التى تترتب على تنظيم نمطى خاص لسلوك المجتمع.

د - لايمكن أن ندرس التفكك بعيدا عن التنظيم لأن فهم التفكك لابد أن يعتمد على فهم التنظيم الذى أدى الى التفكك ويؤكد علماء الاجتماع ، ان هذين التنظيمين لا منفصلان.

هـ - من المتوقع أن كل تنظيم وكل ثقافة ينبثق عنها مجموعة من السلوك الانحرافى، معنى ذلك أن كل المشاكل الاجتماعية فى مجتمع تختلف عن مشاكل مجتمع آخر لذلك لا يمكن القياس عليها أو الاحتجاج بها ولا الاعتماد عليها.

و - من الحقائق السوسيولوجية ان الطبقات الاجتماعية تنقسم فى الداخل الى مجموعة معقدة من المراكز والادوار والى طبقات متعددة يمكن أن تكون كيانا تشريحيا يسهل وضعه تحت المنظار العلمى. والواقع ان المجتمع الذى لا يجعل التخطيط أساس التنمية الاجتماعية والاقتصادية يحاول أن يواجه المشاكل مواجهه رأسية أى القضاء على المشاكل واحدة تلو الأخرى مع عدم المساس بالصورة العامة للنظام الذى يعتبر نتيجة مباشرة للبناء التشريحى ، الذى يحدد اتجاهات الانتاج وفائض رأس المال. أما المجتمعات التى تؤمن بالتخطيط كوسيلة أساسية لمواجهة كل ثغرة ، فانه يواجه المشاكل الاجتماعية مواجهة أفقية بمعنى أنه يؤمن بترابط أجزاء البناء وترابط وظائفه ، الأمر الذى يؤدى الى اعتبار كل مشكلة تظهر فى جسم المجتمع عبارة عن خلل أصاب البناء يفرض حلا عاما يتناول الأساس الاقتصادى والبناء الاجتماعى معا.

ز - هل المشكلة الاجتماعية تكشف عن خلل فى البناء أو انحراف فى

الوظيفة ؟ تقتضى الاجابة على هذا السوءال عمقا أيديولوجيا خاصا وتحديدا للمفاهيم التى تضع اطار البحث الاجتماعى داخل المجتمع فى اطار معين ، كما أن الاجابة تصور مبلغ الاختلاف فى النظرة بين الأفكار المتعلقة بالبناء والوظيفة ومدى ارتباطهما فى الزمان والمكان ومدى تباعدهما ، لذلك فان فى علم الاجتماع لا ينبغى أن يتوقف عند دراسة البناء الى فحص موضوعاته وتحليل عناصره ، بل يجب أن نوءكد منذ البداية أن نظرة قبلية وكلية الى البناء الاجتماعى ضرورية قبل الدخول فى تفاصيل ، لأن الاتجاهات العامة والقيم الكبرى والآمال التى يرتبط بها المجتمع لايمكن أن تظهر نتيجة للتفتيت. أما الدراسة الوظيفية فانها اتجهت نفس اتجاه الدراسة البنائية ، حيث أن العالم الاجتماعى يهدف الى ادراك الحياة فى صورتها الدينامية أى ادراك البناء الاجتماعى أثناء تأديته لوظيفته ، لهذا يمكن القول بأن كل دراسة فى علم الاجتماع هى دراسة بنائية وظيفية بالضرورة ، وليس هذا ابتداعا ولكنه اتفاق تام مع المنهجية العامة للعلم الحديث (١) .

ح - بعض المشاكل الاجتماعية قد تكون وقفا على بعض أنماط الحياة دون الأخرى. مثل مشاكل الريف تجاه مشاكل الحضر لذلك فان المخطط يجب أن يكون على بصيرة باختلافها درجة ونوعا .

ط - يختلف الناس فى اتجاهاتهم نحو الحل المناسب ويعكس هذا الاختلاف أوضاعهم الطبقية ومراكزهم الاقتصادية ، ولهذا تنعكس على السياسة الاجتماعية العامة هذه المتناقضات التى تنطوى

---

(١) عاطف غيث. الموقف النظرى فى علم الاجتماع المعاصر. الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٧٧. ص ص ٨٩-٩٠.

عليها البناء الاجتماعى.

ان أحد العلاقات المثيرة للمشاكل أنها شديدة الصلة بالقيم الخلقية ، وهى اجتماعية لأنها متصلة اتصالا وثيقا بالعلاقات الانسانية وتظهر فى المضمون الذى تتواجد فيه باستمرار علاقات الانسان أو هى مشاكل لأنها تعتبر خروجا على مايمكن اعتباره صوابا أو صحيحا على أساس مايحدده المجتمع للصفات المرغوبه ، بمعنى أخر أن المشاكل تعتبر كذلك لأنها تقلقل الانماط والعلاقات التى يضع المجتمع لها أهمية كبرى خلال التاريخ. وعلى هذا يمكننا أن نقارن المجتمعات والمراحل التاريخية من وجهة نظر محاولات الانسان الفكرية ونوع المشاكل الاجتماعية التى نشأت عن التغيير الاجتماعى والثقافى ، وعلى هذا الاساس لانجد مجتمعا خلا من القلقلات الاجتماعية على الرغم من أن نتائج المقارنة يمكن أن تكشف بوضوح أن المشكلات الاجتماعية تختلف من حيث الشدة ، ومن ثقافة الى أخرى ومن عصر الى عصر ، وأخيرا انقسام العالم الى قسمين اشتراكيين ورأسماليين. ومشاكل الحياة الحضرية التى انبعثت من تغير المجتمع الانسانى من طابع العلاقات المباشرة الى غير المباشرة وما ترتب عليه من مشاكل الضياع الاجتماعى نتيجة لانفصال الفرد عن الوحدات الاجتماعية التى كانت تحمى نموه وتعطيه الأمن والأمان والسلام .

ان علم الاجتماع متسلحا بالمنهج العلمى ومتمنطقا بالموضوعية والحيادية يحاول أن يوجه الى المشاكل الاجتماعية منظار بطريقته الخاصة . ولكن كيف يتخلى الباحث الاجتماعى مهما التزم بالمنهج العلمى عن اخلاقيات هذا المجتمع ومبلغ احساسه بطبيعته المشكلة من حيث عموميتها أو خطرها ؟ من غير شك أن أخلاقيات المجتمع ومبلغ الخطورة والانحراف بالنسبة للباحث تعتبر نوعا من التوجيه ، خاصة فى اختيار مشاكل بعينها لتكون محلا للدراسة . ومن

أجل هذا فالمتوقع أن تتغير المشاكل بتغير طبيعة المجتمع وتقدم الزمان أيضا .

وعلى وجه العموم يجب أن تراعى الاعتبارات الآتية عند دراسة المشكلة الاجتماعية من وجهة نظر العلم :

١ - النظم الاجتماعية مترابطة ترابطا عضويا .

٢ - المشاكل الاجتماعية مترابطة .

٣ - حل المشاكل يمكن أن يؤدى الى تغير كلى لطابع الحياة الاجتماعية .

٤ - الحل الاشتراكى ليس حلا مثاليا كما يذهب الى ذلك كثيرين من علماء الاجتماع.

٥ - المشاكل الاجتماعية تعكس التوجيه القيمى للمجتمع. ولذلك تعتبر دراسة القيم مدخلا أساسيا لفهم طابع المشكلة وامتدادها ومبلغ عمقها .

٦ - يجب أن نميز بين المشاكل الاجتماعية ومشاكل علم الاجتماع ، فالاجهزة هى نوع من الصعوبات التى تواجه المعرفة السوسيولوجية للمجتمع الانسانى ، وفرق بين المعرفة وانحرافات الجماهير التى تصيب سلوكهم أو انخراطهم فى الوسط الاجتماعى.

٧ - تتغير مقاييس الخطأ ، والخير والشر فى الزمان والمكان ،ويجب أن يكون احتمال هذا التغيير ماثلا تماما عند كل الباحثين فى المشاكل الاجتماعية حتى لا يقعوا فى المغالطة الكبرى التى تصور أن هذه المشاكل مسألة طبيعية وضرورية وعامة فى المجتمع الانسانى.

٨ - دراسة المشكلة الاجتماعية لا يجب أن تتم بمعزل عن فهم الارتباط الوثيق بين الثقافة والمجتمع، باعتبار أن المجتمع جسم تتكامل وظائفه بناء على وجود حاجات ضرورية ، وأن ثقافة المجتمع هى

هذا الرداء الذى يتغير بتغير العلم عاكسا باستمرار أبعاد التغير التكنولوجى.

٩ - تؤدى الحياة الاجتماعية الى انحرافات فى أدوار الناس ومراكزهم نتيجة للقلقلات التى تصيب البناء الاجتماعى. ولذلك فان التغلب عليها يعيد تصحيح وضع الاجزاء فى البناء على أساس اطار مختلف يؤدى الى اخراج أدوار ومراكز جديدة.

١٠- ليس هناك حتمية فى أن المشكلة الاجتماعية ذات صفة عمومية فى كل أرجاء المجتمع لتكون أهلا للدراسة ، ذلك لعلمنا ان اتساع نطاق المجتمع الحديث يمكن أن يؤدى الى وجود مجتمعات محلية ذات روابط مختلفة ، ويمكن أن يترتب عليها مشاكل مختلفة أيضا ، ولهذا فان الباحث فى المجتمع له أن يدرس المشاكل الاجتماعية أما على المستوى المحلى أو الاقليمى أو على المجتمع بأسره.

وفى ضوء ذلك يتبين عند دراسة مشاكل المجتمع أنها تخضع بالضرورة لمجموعة من الاعتبارات تنحصر جميعا فى مسألتين هامتين هما :

١ - الالتزام الدقيق بالمنهج العلمى الذى يؤدى الى التعليم بتسلسل العوامل المسببه والطابع الانتشارى للمشكلة الاجتماعية ، وهذا يترتب عليه التسليم من جهة أخرى بأن المشاكل الكبرى فى المجتمع مشاكل تعكس تناقض أجزاء البناء، بينما يمكن أن تكون بعض المشاكل الصغرى معبرة عن اختلال فى الوظيفة.

٢ - التوجيه الايديولوجى والخلقى والقيمى يعتبر أمرا حيويا بالنسبة لاختيار المشكلة وطبيعة دراستها ومنطق حلها ، ولهذا فان الحل يجب أن يكون على أحد مستويين ، الأول المستوى الرئيسى وهو اعادة تصحيح العلاقات البنائية ، والثانى المستوى الثانوى الذى

يعالج مشاكل التطبيق أو يقضى على بعض الرواسب القديمة ذات الفاعلية بالرغم من اعادة تصحيح البناء.

التشخيص السوسيولوجى للمشاكل الاجتماعية :

ان المجتمع الحديث به أنواع متعددة من الصراع والتعقيدات والاضطرابات توصف عادة بأنها الأزمات الاجتماعية لعصرنا ، ويشار غالبا الى أن النظم الاجتماعية التى تزداد احكاما لسلوك الناس ، وتوءدى فى نفس الوقت الى زيادة أبعادهم الاجتماعية تحدث من التغيرات فى البناء الاجتماعى ما يوءدى الى انبثاق عدد كبير من المصاعب أمام الافراد والتصدعات التى تصيب المجتمع ، والتى يشار الى كل منها عادة على أنها مشكلة اجتماعية . ولكننا عندما نتصدى لفحص الفكرة السوسيولوجية عن المشكلة الاجتماعية فلابد لنا على الاقل من معالجة ست مسائل مرتبطة ببعضها وهى :

١ - المقياس المركزى للمشكلة الاجتماعية ، وفى هذا الصدد يجب أن نميز تمييزا واضحا بين المستويات الاجتماعية وبين الوقائع الاجتماعية .

٢ - الى أى حد يمكن أن نجد للمشاكل الاجتماعية جذورا أو أصولا اجتماعية .

٣ - من هم حكام المشاكل الاجتماعية أو من هم الناس الذين يحددون المشكلة الاجتماعية فى المجتمع ويشيرون اليها صراحة .

٤ - المشاكل الاجتماعية الظاهرة والباطنه .

٥ - الادراك الاجتماعى للمشاكل الاجتماعية .

٦ - الطرق التى يدخل فيها الاعتقاد فى امكان اصلاح المواقف الاجتماعية غير المرغوبة فى تعريف المشاكل الاجتماعية .

أبعاد المشاكل الاجتماعية :

تشتمل أبعاد المشكلة الاجتماعية على عدد كبير من عناصر النظام الاجتماعى مثل المنظمات وأنساق القرابة والمجتمعات المحلية والقواعد الاخلاقية والأنماط الاجتماعية والوظائف الاجتماعية والسلطة ومراكز القوة ، الى جانب ارتباط الأفراد بالنظم الاجتماعية وعلاقتهم بالمعايير الموصلة للافعال الاجتماعية . ويرى بعض علماء الاجتماع أن تاريخ المدينة بأسره عبارة عن تغيرات متكررة لهذه الوظائف والانساق والبناءات . ولكن تاريخ الانسان يحتوى على أمثلة لا حصر لها أظهرت مدى صلابة النظم الاجتماعية ومقاومتها لكل التغييرات التى قد تؤدى الى تفككها أو تعديلها على نحو معين، ولعل الصراع بين القديم والجديد داخل الثقافة الواحدة من العوامل الكبرى التى تؤدى الى عدد كبير من المشاكل التى تستعصى على الحل فترة طويلة من الزمان. ولكن اتساق نطاق المشكلة الاجتماعية وضغطها على بناء المجتمع يؤدى الى نوع من التفكير فى وسيلة حلها ، والحل الذى يبدأ من مجرد الالتفات حول المشكلة دون الوصول الى قلبها ، يؤدى الى محاولات لتعديل الظروف والشروط المحيطة بها رغبة فى تخفيف النتائج المترتبة عليها ، ولكن المجتمع فى وقت ما يتبين أن الحل السليم للمشكلة الاجتماعية انما يتم عن طريق تغيير البناء من حيث ترتيب الأجزاء.

ويعتقد علماء الغرب أن الاتجاهات نحو الحضرية والتقدم التكنولوجى الواسع النطاق يعتبران من القوى الرئيسية التى تسبب التخلخلات الاجتماعية التى تحدث فى المجتمعات الغربية وتؤدى الى تغيير الأداة وكان هذا دائما خلال التاريخ علامة على ضرب تغير النظام الاجتماعى. وأبلغ دليل على ذلك أن المتتبعين للتاريخ الانسانى استطاعوا أن يكتشفوا بسهولة أن الأدوات التى استخدمها الانسان فى فترة معينة فرضت عليه السلبية وانعكس ذلك على النظام الاجتماعى.

كما أن أدوات بعينها استخدمت بعد ذلك وضعت فى يد الانسان ولأول مرة الوسيلة التى يغير بها الطبيعة ، وبهذا ازدادت ايجابية الانسان وانعكس أيضا على النظام الاجتماعى. وتغير الطابع العام للانسان فى القرن التاسع عشر استجابة لعصر النهضة ومما انطوى عليه من تجديدات لم يشهد لها الانسان مثيلا ، ومعنى هذا أن كثيرا من التعديلات التى تصيب المجتمع الانسانى تتم استجابة لتغير الوسائل التى يتم بها تغير الحياة المادية ولهذا وجدن نظرية " اجبرن " فى التخلف المترتب على التغير التكنولوجى صدى بعيدا عند علماء الغرب ، وأصبح من المفضل ارجاع التغير فى النظام وانبثاق المشاكل المترتبة على هذا التغير الى التغيرات التكنولوجية ، فاذا كان هناك جانب صدق فى أن المدينة والتكنولوجيا تعتبران من العوامل المسببة الحقيقية . ذلك لأن التكنولوجيا وحدها لا دخل لها بالمشاكل الاجتماعية ، ولكن ارتباط التكنولوجيا بالتغيرات الحضرية فى المدينة هى التى تؤدى الى نشوء هذه المشاكل ولذلك لا نستطيع أن ننسب ظهور الجريمة أو الانحراف أو المؤثرات العنصرية الى أى منهما على حدة ، لأن الدراسات المقارنة التى أجريت على عدد من المدن فى أنحاء العالم أظهرت أن المدن النائية التى لا تتغير بفضل التكنولوجيا تظهر بها مثل هذه المشاكل .

معنى هذا كله أن علماء الغرب يحاولون عدم الربط بين المدينة وبين المشاكل الاجتماعية أو بين التصنيع وبين ظهور بعض الانحرافات فى السلوك الاجتماعى طالما أنهم يجدون فى نتيجة البحث العلمى أن عددا من مناطق العالم بها أيضا مثل هذه الانحرافات .اذن فالتفكك الاجتماعى فى رأيهم يعتبر نتيجة مصاحبة لعدم التكامل فى وظائف المجتمع، وهنا يتضح اصرار هؤلاء العلماء على ربط الوظيفة بالمشاكل الاجتماعية دون البناء ، وهذا يظهر من أنهم يدّعون أن

البناءات الاجتماعية الحضرية والبناءات الاجتماعية الصناعية والبناءات الاجتماعية الريفية تفرز جميعها نوعا واحدا من المشاكل فليس الأمر اذن متعلقا بالبناء ولكن متعلق بالوظيفة .

أن ربط التكنولوجيا كعامل أساسى بعمليات التغير الاجتماعى ومايترتب على هذا التغير من مشاكل يؤدى الى نظرة خاصة ، هى أن كل انحراف يصيب المجتمع انما يرجع الى عدم تكيف الفرد أو الجماعة مع كل تعديل يحدث فى معدات الحياة ، ولكن هذا التفسير قد أغفل حقيقة هامة وهى أن التغيرات التكنولوجية قسمت العالم الى قسمين:

١ - القسم الذى يملك وسائل التكنولوجيا .
٢ - القسم الذى يستخدمها أو يعمل من خلالها .

وتمشيا مع فكرة علماء الغرب فانهم يدعون أن المشاكل الاجتماعية انما تنشأ بفعل العمليات التغيرية الاضطرارية التى تصاحبه ، وباستمرار فان كل تقدم تكنولوجى لا تصاحبه فى نفس الوقت تغيرات فى النظام الاجتماعى ، ولا يجب فى تغيرهم أن نفهم التغيرات الاجتماعية هنا على أنها بنائية ، بل هى تغيرات تعدل الوظائف المصاحبة للنظام ، من أجل هذا يضعون أربعة مشاكل أو عمليات تعتبر المفسرات الرئيسية لكل انحراف يحدث فى مجال الحياة الاجتماعية وهى باختصار كالتالى :

١ - الصراع الاجتماعى الذى يظهر فى النظم الاجتماعية .
٢ - الحراك الاجتماعى .
٣ - العمليات الفردية تبرز فيها مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة أو القرابة .
٤ - الاتجاهات اللامعيارية وهى تحدث للفرد فى المجتمع الرأسمالى، لأنه لا يشعر بارتباطه العضوى فى الجماعة أو المجتمع نتيجة

لانقسامه الى طبقات وجماعات مختلفة . وهذا مالايحدث فـــــى المجتمع الاشتراكى الذى يخضع الفرد فيه الى توجيه أيديولوجى محدد هادف منبعث من نظرية متكاملة تحدد فيها أهداف المجتمع الكبير .

أخيرا - ان هذا التراث النظرى الذى عرضناه سابقا يمكن لنا الاستعانة به فى دراسة مشكلات المجتمعات الانسانية - وندعو الله أن يكون قد وفقنا فى اثراء نظرية علم الاجتماع ولو بالنذر اليسير .

المراجع و المصادر

المصادر العربية

١ - محمد على محمد وآخرون . دراسات فى التغير الاجتماعى ، القاهرة ، ط ٣ ، دار المعارف ، ١٩٧٧ .

٢ - محمد عاطف غيث وأخرون . قاموس علم الاجتماع . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ .

٣ - محمد عاطف غيث . دراسات فى علم الاجتماع التطبيقى ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨١ .

٤ - محمد عاطف غيث . الموقف النظرى فى علم الاجتماع المعاصر. الاسكندرية ، دار المعرفه الجامعية ، ١٩٧٧ .

المصادر الأجنبية

1 - Au Mathens, Social problems, un pupulished paper.

2 - Becker, (H) " Social problems in Ouertine Amoderne approche N, J 1966.

3 - Clinard (M). Sociology of deviant behavior. N. J. 1963.

4 - Clinard (C). Sociology of deviant behavior N. J. 1969.

5 - Fuller & Mager. " The natural history of Social problemes "1941 .

6 - Fuller & Mager. " Some Aspects of Theary of Social problems " American Sociology, Revieu 1941 .

7 - Faris, R, Social disorganization " N. J. 1948.

8 - Ford, G. " Social deviation " London 1987.

9 - Fairtchkd & Henry. " Adictonary of Sociology and related sciences little field " Adams Company New York 1977.

10- G.Landberg, Others" Sociology " N. J. 1954.

11- Hary. " Social problems in American N. J. 1976.

12- Lemmart. " Social problems " N. J. 1951.

13- Lemmart. " Social problems " London 1951.

14- Lemmart. " Social problems " London 1961.

15- Lind and Hellen M. Rahers. " Middletouns in transition harcourt, France and Company N. J. 1937.

16- Lemart. " Social problems " London 1961.

17- Merton, Rohert, Rnisber, Conrenparavey. " Social problems" 1966.

18- Merton, R. K. & Nisbet, Rabert. " Social problems " 1971.

19- Rebert. Land & Hellen M. LJ and, Middletons Harcourt Brace and company " N. J. 1975.

20- Rosenberg, Bu. Society in oisis N. J. 1975.

21- W. Ogburn. " The culture lag Approach " N. J. 1989.

22- Theador, George A. & A. Chilles G. theodorson " Modern dictionry of Sociology " Thomosy Gfoweli company N. J. 1970.

23- Nenter, Robert. " A Basic social problems "Band M C Nally & company chicogo 1971.

24- Alexis de Tegue Uille. " Democrocy in America " N. J. 1964.